المحاضرة الرابعة: اجراء المقابلات المتعمقة

تعد المقابلات المتعمقة نوعا من الشراكة في خلق المعنى بين الباحثين القائمين باجراء المقابلة والمبحوثين الذين تجرى معهم المقابلات . وتتيح هذه الجلسات فرصة للباحثين للتعرف على الحياة الاجتماعية من خلال رؤى وخبرة ولغة من يعيشونها . كما تتاح للمبحوثيين فرصة ليشاركوا بتقديم حكاياتهم ونقل معرفتهم وطرح رؤاهم الشخصية حول طائفة من الموضوعات . لذلك تعتبر المقابلات الكيفية نوعا خاصا من الحوار المنتج للمعرفة والذي يجري بين طرفين . وتعد العلاقة القائمة بين الباحث الذي يجري المقابلة والمبحوث الذي تجري مقابلته امرا في غاية الاهمية لعملية خلق المعنى .

فاثناء الموقف الذي تجرى فيه المقابلة المتعمقة يكون لدى الباحثين القدرة على ان يضعوا انفسهم في نفس مستوى المبحوثين وان يعملوا معا متعاونين وهم ينتجون المعرفة العلمية الاجتماعية . وفي هذا المسعى , يمكن وصف هذه العلاقة القائمة بين الباحثين الذين يجرون المقابلة والمبحوثين بانها علاقة تبادلية . والاكثر من ذلك ان المبحوثين يعدون في هذا الموقف حجة فيما يتصل بما يروونه من حكاياتهم الشخصية , بما يعني انه ينظر اليهم باعتبارهم خبراء . ولكي تتحقق هذه التبادلية في العلاقات وهذه المرجعية المشتركة , يتعين على هذين الطرفين ان يشعرا بالارتياح مع بعضهما . لذلك يساعد الباحثون المبحوثين على تقديم حكاياتهم عن طريق ايجاد الالفة معهم . ويجب ان يشعر المبحوثون بالامان وبالراحة , كما يجب ان يشعرا كما لو ان ما يقولونه يحظى بالتقدير. ومن اجل تحقيق هذا الغرض , يجب على الباحثين ان يقوموا بدور المنصت الفعال عندما يكون المبحوث مستغرقا في الكلام . ويعد ابداء الاهتمام الصادق بالمبحوث امرا جوهريا لتوطيد الالفة .

وتعتبر الايحاءات قطعا من المعلومات التي قد يقدمها المبحوث في سياق حديثة عن شيء اخر. ويشرح وايس 1994 معنى الايحاءات وكيف يمكن ان تظهر كما يلي :

الايحاءات اشارات عابرة تصدر من المبحوث يشير بها الى حدث مهم او الى حالة شعورية مهمة... ونظرا لان الايحاءات ترد في سياق الكلام عن شيء اخر, فلعله يتوجب عليك ان تحتفظ بها في ذاكراتك ثم تعود بعد ذلك اليها عندما يتسنى لك ذلك. فتقول للمبحوث : منذ لحظات قليلة ذكرت كذا...الا انه من الصواب ان تلتقط "الايحاءة" بمجرد ان يتيسر لك ذلك, ان كانمن المحتمل ان يكون للمعلومات التي تشير اليها هذه الايحاءة اي صلة بدراستك . اما اذا تركت الايحاءة تمر وتنقضى فان ذلك سيظهر للمبحوث ان هذا المجال لا اهمية له عندك . كما ان بالامكان ان يظهر هذا التصرف انك مهتم فقط بالحصول على اجوبة لاسئلتك, ولست مهتما بالخبرة الحافلة للمبحوث ... وقد تصدر عن المبحوثين احيانا ايحاءات عن طريق اشارتهم الى ان امرا مهتما قد حدث ولم يتكلموا عنه . مثال ذلك ان يقولوا: حسنا, لقد حدثت امور كثيرة في ذلك الوقت . حينئذ يكون من الصواب ان تجيب قائلا : "ايمكنك ان تحكى لي شيئا عن ذلك" .

بجانب الايحاءات تعتبر المجسات امرا في غاية الاهمية للمقابلة الجيدة , كما انه من المهم ان تميز بين الوقت الذي تكون فيه الايحاءة قد اغفلت ذكر ما تريد انت ان تلتقطه, والوقت الذي ينبغي عليك فيه ان تتوغل في اجابة المبحوث لتصل الى المزيد من المعلومات . والمجسات تكون ضرورية عادة وعلى الدوام اثناء اجراء المقابلة المتعمقة , خاصة اذا كانت المقابلة من النوع ذي البنية البسيطة (اي المفتوحة) والذي قد تطرح فيه اسئلة اقل عددا ولكنك تزداد تعمقا في التنقيب داخل ما يؤثر المبحوث ان يتكلم عنه. والمجس هو اسلوب الباحث لجعل المبحوثين يسترسلون في الامر الذي يتكلمون عنه , وذلك بان يجعلهم يتكلمون عن امور ابعد مما تكلموا عنه او بان يقدموا مزيدا من الشرح والتفسير , وذلك من خلال تقديمهم لمثال يوضح ما يقولونه . وقد يكون المجس في بعض الاحيان مجرد علامة على الفهم والاهتمام يبديها الباحث للشخص الذي يجري معه المقابلة. وهناك مجموعة من القضايا التي لابد ان يعرفها الباحث : -

- كيف تجعل شخصا ما يبدا الكلام ؟

- هل يشق عليك ان تكون منصتا فعالا عندما تقوم بدور الباحث الذي يجري المقابلة ؟

- هل يرغب المبحوثون في الافضاء اليك بحكاياتهم ؟

- ماذا يستفيده المبحوثون من هذه العملية ؟